

إسهام الإمام المغيلي في النهوض بمدرسة التصوف الجزائرية وفي الإشعاع الروحي والفكري لزواياها في الفضاء المغاربي وفي ربوع غرب إفريقيا

د. قاسم جاخاتي

أستاذ كرسيّ بقسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة شيخ أنتا جوب بذاكار السنغال

البريد الإلكتروني: khassim.diakhate@ucad.edu.sn

ملخص البحث

يعالج بحثنا هذا موضوعا يتعلق بإسهام الإمام المغيلي في النهوض بمدرسة التصوف الجزائرية، وفي الإشعاع الروحي والفكري لزواياها في الفضاء المغاربي وفي ربوع غرب إفريقيا. وقد أولى البحث اهتماما خاصا للتراث الصوفي للإمام الثعالبي (ت 875 هـ/1470 م)، الذي يُعدُّ من أبرز وجوه مدرسة التصوف الجزائرية المتألّفة في مجال العلم والورع والتأثير. وسعى البحث إلى تقصي حقائق جذور فكره الصوفي، وطبيعة العلاقة التي كانت تربطه بتلميذه الإمام المغيلي الذي تخرّج من مدرسته، وأصبح صهره وحامل لواء تراثه العلمي والروحي. وقد تناول البحثُ بالدرس والتحليل سيرة حياة الإمام المغيلي، ومراحل تطور فكره الروحي، وحاول فهم وتوضيح توجّهاته، وتطبيقاته، وإشعاعه في الفضاءات المذكورة، وكذلك إسهام مريديه وأنصاره من الطريقة القادرية الكنتية في نقل تراثه ونشره فيها.

الكلمات المفتاحية:

التصوف، الجزائر، الثعالبي، المغيلي، القادرية، أفريقيا الغربية، التراث، المدرسة، الزوايا، الإشعاع.

Résumé

Notre travail aborde un sujet relatif à la contribution de l'imam Al-MAGĪLĪ (m. 909/1503) au développement de l'école soufie algérienne et au rayonnement spirituel et intellectuel de ses zaouïas, dans l'espace maghrébin et ouest-africain. Dans ses orientations fondamentales, ce travail accorde une attention particulière au patrimoine soufi de l'imam AT-TA'ĀLIBĪ (m. 875/1470) qui fait partie des plus remarquables figures de l'école soufie algérienne qui ont excellé en matière d'érudition, de probité morale et d'influence. Il a examiné, en profondeur, les sources de sa pensée soufie, la nature des relations qu'il entretenait avec Al-MAGĪLĪ qui a été son étudiant et son gendre et qui devint le porte-étendard de sa tradition intellectuelle et spirituelle. Il a également étudié et analysé la biographie d'Al-MAGĪLĪ et les différentes étapes de l'évolution de sa pensée spirituelle, tout en essayant de comprendre et d'expliquer ses orientations, ses applications et son rayonnement dans les espaces évoqués, ainsi que l'apport de ses disciples et sympathisants appartenant, notamment, à la confrérie *qādiriyya* d'obédience *Kounta*, dans la transmission et la propagation de son héritage spirituel.

Mots-clés : soufisme, Algérie, AT-TA'ĀLIBĪ, Al-MAGĪLĪ, *la Qādiriyya*, Afrique de l'ouest, patrimoine, école, zaouïas, rayonnement.

المقدمة

أ-نشأة الإمام المغيلي ومراحل درساته

كان الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني من أكثر أعلام الجزائر شهرة وتأثيرا في القرن الخامس عشر، وقد وصفه أحمد بابا التنبكتي (1036هـ/1627م) وابن مريم "بخاتمة المحققين، الإمام العالم العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحبر أحد أذكى العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض أعدائه، الخ".¹ كاد كتاب "لقط الفرائد" لأحمد بن القاضي، المتوفى سنة 1025هـ/1616م يكون كتاب التراجم القديم الوحيد الذي قدّم فكرة واضحة عن حياة محمد بن عبد الكريم المغيلي في تلمسان وبجاية وثوات. وقد كتب بالتحديد أنه "محمد عبد الكريم المغيلي، الشيخ العالم العامل العلامة التحرير ذو الخوارق المتواترة، والحقائق المتوافرة، سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني. ولد بتلمسان ونشأ بها ثم رحل منها بعد حفظ القرآن إلى بجاية، وتمهّر بها في العلوم على يد أبي العباس الوغليسي، وبعد بلوغه النهاية في العلم رحل إلى ثوات وهي يومئذ دار علم وإسلام واستقرّ بها ووُلد له الأولاد". بيّد أن أحمد القاضي لم يشر إلى دراسة الإمام المغيلي في مدينة الجزائر ولا إلى إقامته في بلاد السودان، ولكنه أتى بمعلومات مفيدة عن قضية يهود ثوات لم أجدها في كتاب آخر.²

أما ما يتعلق بالأخبار الواردة في كتب التراجم الأخرى فتتركز على موقف محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي تجاه يهود ثوات. وعلى سبيل المثال، بدأ ابن عسكر،

¹ التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج، بتطريز الديباج، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ج 1-2، 1989، ص 576. ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1908، ص 253.

² أحمد القاضي، لقط الفرائد، موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج 2، 1980، ص 816.

المتوفى سنة 986هـ/1578م، الترجمة التي خصصها له بهذه العبارة: "ومنها الشيخ الفقيه الصدر الأوحى أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..."، ثم انتقل عقب ذلك مباشرة إلى قضية يهود توات المشهورة بنزلة يهود توات، وكرس لها أكثر من صفحتين ثم أشار إلى النشاطات التي قام بها في بلاد السودان وتوات مضيفاً إلى أنه توفي ودفن في توات التي يوجد فيها أحفاده يحيطهم أهلها بالاحترام والتوقير. ولكنه لم يأت بأدنى معلومات حول تربيته ودراسته³. أما ترجمة أحمد بابا التنبكي، المتوفى عام 1036هـ/1627م، الخاصة بحياة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي والمنشورة في "كتابه نيل الابتهاج"، فأولت اهتمامه في البداية للاعتبارات التي لفتت انتباه ابن عسكرك؛ فوصفت ترجمته محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي بـ «التلمساني خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين وقَعَت له بسبب ذلك أمورٌ مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات وألزمهم الدّل...»⁴. وبَعْدَ انتهاء الترجمة من موضوع نازلة توات التي خصّصت لها أكثر من نصف صفحة، حدّثَ خطَّ سيرِ رحلته التي انطلق من توات إلى بلاد أهير، ثم تكدة التي قام بالتدريس فيها، "ثم دَخَلَ بلادَ كَنُو وكَش من بلاد السودان واجتمع بصاحب (أمير) كَنُو، واستفاد عليه وكتب

³ ابن عسكرك، دوحه الناشر، نسخة مصورة في حوزتنا من المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس: المخطوط رقم R. 8301. C: انظر الأوراق: (71-73). وفيما يتعلق بأبي العباس الوغليسي، انظر بابا أحمد، نيل الابتهاج في تطوير الديباج، المصدر المذكور سابقاً، ص 248، ومخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية، القاهرة، المطبعة السلفية، ج 1، 1349هـ، ص 237. وبالنسبة لحياة عبد الرحمان الثعالبي، انظر بابا أحمد، المصدر نفسه، ص 257-261.

⁴ التنبكي بابا أحمد، نيل الابتهاج، السابق، ص 576.

رسالة في أمور السلطنة يُخَصُّه على اتباع الشرع وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقَرَّر لهم أحكام الشرع وقواعده⁵.

واستطرد أحمد بابا في وصفه لمراحل وأخبار الرحلة: "رحل لبلاد تكرر فوصل إلى بلدة كاغو (غاوو) واجتمع بسلطانها الحاج أسكيا محمد وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف، وألف له تأليفا أجابه فيه عن مسائل وبلغه هناك (نبأ) قتل ولده بتوات من جهة اليهود فانزعج لذلك وطلب من السلطان قبض أهل توات الذين بكأغو حينئذ فقبض عليهم، وأنكر عليه سيدنا أبو المحاسن محمود بن عمر، إذ لم يفعلوا شيئا، فرجع عن ذلك وأمر بإطلاقهم ورحل لتوات فأدرسته المنية بها فتوفي هناك سنة تسع وتسعمائة⁶. وتحتوي الفقرات السابقة أخبارا مفيدة تتعلق بالرحلات التي قام بها محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي بين توات وبلاد السودان وبالأنشطة التي قام بها في مجالات التدريس والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتأليف. وكانت تربطه بأمير كانو وسلطان كاغو في بلاد السودان علاقة خاصة تُؤكِّد قوتها ومتانتها الرسالة التي كتبها لأول بشأن سياسة الحكم في الإسلام كما تثبت متانة علاقته بالثاني الرسالة التي ألفتها له ووضع فيها أجوبة للأسئلة التي وجهها إليه السلطان أسكيا محمد حول شؤون الحكم ونوع العلاقة التي يجب أن تربط الحاكم بالمحكومين حسب الشريعة الإسلامية. ومن الصعب جدا تحديد تاريخ مغادرته توات ووصوله إلى بلاد السودان، ويُوجد تضارب في التواريخ المذكورة حول الموضوع⁷.

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي ذكرتها كتب التراجم حول مراحل مهمة من حياة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، فإنها تتضمن، على كل حال، معلومات مفيدة تُعيننا على فهم جوانب خاصة من صفاته وثقافته وآرائه، ونجد في كتاب "من

⁵ المصدر السابق، ص 577.

⁶ المصدر المذكور سابقا الصفحة نفسها.

⁷ Cuoq Joseph, Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, op.cit. p p. 220-291 .

تاريخ توات، أبحاث في التراث"، للدكتور أحمد أبا الصافي جعفري، الأستاذ بجامعة أدرار والخبير بشئون منطقة توات، المتخصص أيضا بالمخطوطات الجزائرية في إفريقيا، معلومات قيمة تتعلق بظروف وصول الإمام المغيلي إلى توات بعد انتهاء رحلته الدراسية الطويلة، منها ما نقله من مخطوط "درة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام" تقتطف منها ما يلي: "وبعد جولاته المعرفية الأولى بين مدن تلمسان وبجاية ثم الجزائر العاصمة، حلّ الإمام المغيلي بأرض توات على الأرجح سنة 882هـ/1477م، ووجد اليهود يومها قد ضربوا بأذنابهم في كل شاردة وواردة من أمور حياة التواتيين بالإضافة إلى تمزدهم على كثير من الأحكام الشرعية عليهم، وهو ما رأى فيه الإمام إسقاطا لصفة الدمى عنهم"⁸. ووصف لنا د. جعفري ظروف حياته الأخيرة ووفاته في توات، اعتمادا على معلومات نقلها من شيخ الزاوية الكتبية الحاج أحمد الكتني الذي قال إنه رواه عن الأوائل، مفادها أن محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي اتخذ قرار العودة إلى توات لما وصله خبر قتل ولده عبد الجبار الذي استخلفه على أهالي توات، "ولما بلغ توات الوسطى أو توات الحناء كما كانت تسمى، وتحديدًا قصر بوعلي جنوب بلدية زاوية كنتة حاليا، تقدّم له البرامكة سكان القصر، وعرضوا عليه الإقامة عندهم فلجئ الدعوة واستقرّ أخيرا في قصر بوعلي، وهناك أسس مسجده وحلّوّه وتخصّص فيهما للدعوة والعبادة حتى وافته المنية سنة 909هـ، حيث نُقل إلى مشارف القصر، وهناك دُفن، ومنذ ذلك الحين أخذ مَوْضِعُ دُفْنِهِ اسْمَ زاويته المعلومة إلى الآن في المنطقة"⁹.

⁸. د. أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات. أبحاث في التراث، الجزائر: منشورات الحضارة، 2011، ط1، ص 14.

⁹. المرجع السابق، ص 21.

أتى أحمد بابا بقائمة كُتِبَ ذكر أنها من مؤلفات محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي منها **البدر المنير في علوم التفسير**، و**مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، ووصف هذا الكتاب بكتاب عجيب في حجم كراسين أرسله مؤلفه إلى الإمام السنوسي وابن غازي فقاما بتقريبه، و**شرح مختصر خليل** الذي سَمَّاه **مغني النبيل**، وكذلك **شرح ومختصرات لأجزاء كتب في الفقه المالكي**، و**مفتاح النظر في علم الحديث**، و**شرح الجمل في المنطق ومقدمة في المنطق** ومنظومة فيه سماه **منح الوهاب** بالإضافة إلى ثلاثة شروح عليها. وأخير التنبكتي أن والده كتب شرحا وافيا حسنا للمنظومة المذكورة. ثم ذكر أيضا كتابا اسمه: **تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين**، و**شرح خطبة المختصر** وكتاب **مقدمة في العربية**، وكتاب **الفتح المبين وفهرسة مروياته**، وعدة قصائد، **كالميمية** على وزن البردة وروياها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. وانتقل التنبكتي إلى شيوخ محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي وذكر أنه أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ يحيى بن بدير وغيرهما. ثم أفاد أن جماعة أخذ عنه ذكّر منها الفقيه أيد أحمد والشيخ العاقب الانصمي ومحمد بن عبد الجبار الفيحي وغيرهم. واختتم التنبكتي ترجمته لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي بذكر مُراسلة شعرية جرت بينه وبين جلال الدين السيوطي لها علاقة بموقفهما تجاه علم المنطق¹⁰.

وبالاطلاع على ترجمة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي في كتاب أحمد بابا المعروف ب **المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج**، وجدنا أنه لخص فيها البيانات التي أوردها في نيل الابتهاج¹¹. وقد قمنا أيضا بقراءة ترجمة ابن مريم لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي في كتابه **البستان**، فوجدناها صورة تكاد تكون طبق الأصل لما كتبه

¹⁰ التنبكتي بابا أحمد، نيل الابتهاج، المصدر المذكور سابقا، ص 577-579.

¹¹ التنبكتي بابا أحمد، **المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج**، نسخة مصورة في حوزتنا، من مخطوطات الأزهر، الجزء 12، رقم 893، رواق المغاربة، ورقة 95-96.

التنبكي في الموضوع نفسه¹²، ولاحظنا الشيء نفسه في كتب تراجم متأخرة مثل كتاب شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمخلوف محمد بن محمد¹³، وكتاب تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي¹⁴.

ج- إشكالية البحث:

تدور إشكالية بحثنا، بشقها الأول، حول إسهام الإمام المغيلي في النهوض بمدرسة التصوف الجزائرية، وتطرح فروضا ترمي إلى تأكيده أو نفيه مستعملا براهين وحجج علمية مناسبة. أما الشق الثاني للإشكالية فمرتبط بالأول باعتباره امتدادا له؛ وينصبُّ على معطيات الإشعاع الروحي والفكري لزوايا هذه المدرسة التي يُفترض انتشارها في الفضاء المغاربي وفي بلاد غرب إفريقيا، وسنسعى إلى معرفة الجذور المحتملة للإشعاع المذكور كما سنحاول تحديد وتفسير ما يُتوقع أن يترتب على ذلك من تداعيات مختلفة مع الاعتماد على عناصر مصادر ومراجع الموضوع التي توحى إلى ذلك.

د- منهج البحث:

وسنستعمل في هذا البحث منهجين؛ أحدهما وصفي تحليلي، يسهّل لنا مهمة دراسة الموضوع وتحديد وجوده وتعيين واقعه، مع السعي وراء وصفه وصفا دقيقا يلقي الضوء على جوانبه المختلفة، ويكشف عن خصائصه. أما الثاني فتاريخي تحليلي نستفيد منه في دراسة موضوعنا انطلاقا من ظروف نشأته، معتمدا على الوثائق والمستندات المتاحة، مع متابعة ظروف تطوره التاريخي، بالإضافة إلى ملاحظة ما يطرأ فيه من تطورات

¹² انظر ابن مريم، البستان، المرجع المذكور سابقا، ص 253-257.

¹³ مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة: المطبعة السلفية، ج 1، 1349 هـ، ص 274.

¹⁴ الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر: مطبعة فونتانة الشرقية، 1906م، ص 166-170.

وتغيرات، نحاول فهم أسبابها وتحليلها محددًا الجوانب السلبية والإيجابية الكامنة فيها، مع محاولة تقييم النتائج المترتبة على ذلك. والخطة المتبعة في هذا البحث تدور كالآتي:

1- تصوف الإمام المغيلي وعلاقته بالتراث الصوفي للإمام عبد الرحمن الثعالبي؛ 2- البعد الصوفي في فكر الإمام المغيلي؛ 3- ارتباط أهل كنته بالإمام المغيلي، حسب مخطوط "الطرائف والتلائد".

1. - تصوف الإمام المغيلي وعلاقته بالتراث الصوفي للإمام عبد الرحمن الثعالبي

تكاد تتفق المصادر والمراجع على أن الإمام عبد الرحمن الثعالبي كان من أساتذة الإمام عبد الكريم المغيلي. واعتبره د. عصام طوالي من أبرز تلاميذه الذين تولوا نشر تراثه: "تُوفِّي الشَّيْخُ الثَّعَالِبِيُّ لَيْلَةَ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ 875 هـ/ 1470 م، (فهو) فقيه، محدث، مفسر، مؤرخ، وصوفي، لقد أسَّس مدرسة شرعية مجمع على صدق منهجها. مدرسة سعى في نشر أنوارها تلاميذه، أَشْهَرُهُمْ صُنْهْرُهُ دَفِيقُ أَدْرَار، عبد الكريم المغيلي (ت. 909 هـ / 1503 م)" ¹⁵. وقد أكد د. إدريس خويا وأ. فاطمة برماتي بأنه دَرَسَ عِلْمَ التَّصَوُّفِ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّعَالِبِيِّ فِي الْعِبَارَةِ التَّالِيَةِ: "وقد أخذ منه الشيخ المغيلي: التفسير، التصوف، والقراءات. وركز كثيرا على أن يأخذ منه علم

¹⁵ د. عصام طوالي الثعالبي، مقامات الأولياء في الموروث الشعبي الجزائري: مقامات سيدي عبد الرحمن الثعالبي نموذجاً: قلب ثقافة العاصمة، بحث منشور في مجلة "معايير"، مجلة دولية محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة بمشاركة كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام لجامعة الجزائر - عدد خاص: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي والإشعاع الثقافي لمدينة الجزائر، 1، المجلد 3، العدد 1، جامعة الجزائر 1، 1999، ص 143.

التصوف".¹⁶ ونعتقد، بناء على ما سبق، بأن دراسة الفكر الصوفي للإمام عبد الرحمان الثعالبي تُسهِّل لنا فهم أهم العناصر التي تُكوِّن المرجعية الصوفية الأولى للإمام المغيلي. وقد بيّن د. الصادق دهاش وسائل تأثير الإمام الثعالبي في أتباعه، وحصرها في الوسائل الثلاثة التالية: "قد أثر تأثيرا بليغا في أتباعه بواسطة ثلاث طرق أساسية: 1- تلاميذه 2- وتأليفه 3- وزاويته". وأشار د. دهاش إلى "استشراء حركة التصوف بشكل جلي وترك بصماتها على نفسية العامة والخاصة، فانتشرت الرؤى والأحلام والكرامات والأدعية والأذكار. فكانت الجزائر يتجاذبها تياران أو رافدان: رافد الأندلس ورافد المشرق بمسحة مغربية جزائرية أصيلة"¹⁷.

وقد أكدت د. بعارسية صباح إلى قُوَّة انتشار التصوف في المجتمع الجزائري في عصر الإمام الثعالبي وتأثيره الشديد في جميع فئات المجتمع المغربي بالعبارات التالية: "اشتهر الثعالبي في القرن 9هـ/ 15 م، وهو القرن الذي انتشر فيه التصوف بين جميع فئات المجتمع المغربي، بما فيها فئة العلماء، خاصة الفقهاء منهم، الذين كانوا عادوا لأفكار الصوفية في عهد المرابطين. لهذا امتلأ هذا القرن بعلماء متصوفة، ومتصوفة علماء؛ وعلى رأس هؤلاء الثعالبي الذي جمع بين التصوف والعلم، فحصل على احترام الجزائريين وغير الجزائريين، نتيجة لغزارة علمه ولحياته المثلى، وللبركة التي منحها حضوره لمدينة الجزائر، حيث غطت شهرته البلاد، ودرسه العديد من أبناء الجزائر ومن غيرهم، ولا نكاد نجد كتابا في التراجم لا يذكره، وضريحه حَجَّة للزائرين في مدينة الجزائر لليوم".¹⁸

¹⁶ د. إدريس خويا أ/فاطمة برماتي، الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي - من المهد إلى اللحد-مجلة الذاكرة، المجلد 4، رقم العدد 2، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016، ص 13.

¹⁷ د. دهاش الصادق، دراسة تاريخية مع العلامة عبد الرحمن الثعالبي في رحلته العلمية، مجلة معابر، المرجع السابق، ص 41-43.

¹⁸ د. صباح بعارسية، مكانة شخصية الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في العهد العثماني، مجلة معابر، المرجع السابق، ص 61-62.

2. التصوف وأركانه عند الإمام الثعالبي

وننقل فيما يلي مقتطفات من بحث د. حبيب بريك الله الذي خصّصه لتصوف العلامة الثعالبي معتمدا على محتويات كتاب "رياض الصالحين وتحفة المتقين" الذي كان مخطوطا حبّيس الرفوف، وقام د. حبيب بريك الله بتحقيقه ونشره، وتناوله بالدرس والتحليل في بحثه المذكور، مؤضحا بأن العلامة الثعالبي "جمع فيه الكثير من مظاهر وروايات التصوف في المجتمع الجزائري والمجتمعات الإسلامية الأخرى".¹⁹ وقدم د. حبيب بريك الله وصفا ملخصا لطبيعة تصوف الإمام الثعالبي وأحوال عصره، في السطور التالية: «ويأتي تصوف الثعالبي في أسس وأطر التصوف الإسلامي الصحيح الذي يستند أصوله من الكتاب و السنة و يستوحي قواعد تصوفه من المدرسة الغزالية التي كانت سائدة آنذاك، وقد لمسنا من خلال كتابه، رياض الصالحين وتحفة المتقين، كثرة إيراد الأقوال الغزالي من خلال كتابه إحياء علوم الدين، والعلامة القرطبي في تذكرته، والعلامة ابن أبي حمزة في كتابه المشهور بحجة النفوس، وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها، وما دفع العلامة الثعالبي المتصوف إلى سلك طريق التصوف والزهد هي حالة عصره التي راجت وقتئذ. وتتمثل في الركود والجمود والضعف في كثير من المجالات السياسية والدينية والضيايع الاجتماعي، وانتشار علامات البذخ والانحلال في المجتمع الجزائري التي حملها النازحون من بلاد الأندلس. فجاء تصوف الثعالبي منافيا للفتن والأجواء السياسية والمجادلات العقلية والعصبية المذهبية التي ينكرها العقل القويم وتسأمها الفطرة السليمة لا سيما ما كان منها يعود إلى الحياة الاجتماعية والحضارية عامة من ألوان الترف والبذخ والمجون والاشتغال بسفاسف الأمور».¹⁹

عالج د. حبيب بريك الله موضوع أركان التصوف عند الإمام الثعالبي وعدّها أربعة، وهي الصمت، والعزلة والجوع والسهر، ثم أتى بالتوضيحات التي قدمها الإمام

¹⁹ د. حبيب بريك الله، منهج العلامة الثعالبي في التصوف من خلال كتابه "رياض الصالحين وتحفة المتقين"، مجلة معابر، ص 127-134.

التهالي لهذه المفاهيم الصوفية، بدأها بالركن الأول، أي "الصمت": " يقول التهالي في كتابه عن ركن الصمت ما يلي: قال : حميد بن هلال : قال لي الربيع بن خثيم: " عليك بكثرة الصمت وطول الصلاة والخشوع لله سبحانه فيها والخضوع له واعلم أن في الجنة دارا ما بين بابين كما بين المشرق والمغرب من لؤلؤة صفراء مخوفة فيها قصور وبيوت من ياقوت أخضر وأحمر وأبيض أعدها الله للمتقين قلت : ومن المتقين ؟ قال : الذين اتقوا سخط ربهم، ثم قال لي : يا أخا بني عدي عليك بتلاوة القرآن وأكثر الفكرة فيه فإن فيه عبرا وأمثالا لمن اعتبر واتعظ وخاف وحذر ولا استكثرت المعروف فمن يفعلها واعلم أن المعروف مصارع السوء، واعلم أن أعلم الخلق بالله أكثرهم خوفا من الله. وعن يزيد بن نافع قال : كان الربيع بن خثيم: " أخشع الناس أصمتهم إلا من خير وكان لسانه لا يفتر على الذكر"²⁰؛ الركن الثاني هو "العزلة"، وتحدث عن مزبته في العبارة التالية: "قال الحسن: مكتوب في التوراة: الغنمة في القناعة والسلامة في العزلة"؛ الركن الثالث هو "السهر"، وقد ربط هذا الركن بأذكار الليل ووضع له الضوابط التالية: "وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا بطهارة الظاهر والباطن وإن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك ولست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجرد ضعيفة واعلم قطعا أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه ولا تبعث من نومك إلا على ما غلب على قلبك في نومك". الركن الثالث هو "الجوع"، وقد نوه به في العبارات التالية: "واعلم أنه إن كانت همتك ما يدخل في بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوي على عبادة الله كقصدك من قضاء الحاجة فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك في وقته وقدره وجنسه أما الوقت فأقله أن تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم وأما قدره فأن لا تزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا تطلب اللذائذ من الأطعمة بل تقنع بما يتفق فإن

²⁰ المرجع السابق، ص 134.

قدرت على هذه الثلاثة وأسقطت عنك مؤنة اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك ألا تأكل إلا حله فإن الحلال يعن ولا يفني بالشهوات.²¹

نلاحظ أهمية "محاسبة النفس" في فكر الإمام الثعالبي الصوفي، وقد أشاد به في العبارات التالية: "إن أردت نجاة نفسك فلا تغفل عن محاسبتها ما دمت حيا، قال الغزالي: "واعلم أنه لا ينجو من خطر الحساب والميزان إلا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخصراته ولحظاته". قال الغزالي في الإحياء والقرطبي في تذكرته: "يجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه": "حاسبوا أنفسكم وزنوها قبل أن توزنوا، وإنما حسابه كما قال عمر لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط فيه من تقصير فرائض الله عز وجل ويرد المظالم حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يُبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يرجي من الله سبحانه أن يدخله الجنة بغير حساب. قال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى: "ولا يحمل المرء على هذه المحاسبة والمراقبة إلا الخوف من الله عز وجل والإجلال له وقوة اليقين، ولهذا المعنى كاف"²².

يبدو أن كتب الغزالي والقرطبي والمحاسبي تشكل أهم مراجعه في مجال التصوف، وهذا ما أكدته الإمام الثعالبي في بداية كتابه "العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة".²³ وتجدر الإشارة إلى أن المتصوفة يولون لأمر الآخرة أهمية خاصة. وبعْدَ

²¹ المرجع السابق، ص 134-135.

²² المرجع السابق، ص 135-137.

²³ وفيما يلي نص الإمام الثعالبي الذي يتضمن معلومات قيمة تتعلق بحياته وكتابته ومراجعته وبفكره الصوفي: "وبعد فيقول العبد الذليل المعترف بالعجز والتقصير عبد الرحمان بن محمد الثعالبي لطف الله به اللطف الجميل في المقام والرحيل، لما وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا، وبلغت من السنين نحو من ثلاثة وسبعين وعلمت النفس قرب الحمام منها علم اليقين وأيقنت أنها راحلة في عسكر الراحلين، شرعت في جمع كتاب أجعله تذكرة لنفسي، وأعمدة أنواره لظلم رمسي في ذكر الموتى وما بعده من الأمور الآخرة وصنف العلماء في هذا المعنى تصانيف جلييلة كأبي حامد الغزالي وأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي وأبي محمد عبد الحق الإشبيلي والمحاسبي وغيرهم إن شاء الله تعالى في قدار كلامهم وغيرهم من الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة ما تنشرح له الصدور ويستولي عليهما الضياء

إمامنا بالخطوط العريضة لتصوف الإمام الثعالبي، يجدر بنا الآن أن نعود إلى تلميذه وصهره النجيب الإمام المغيلي. وسنحاول دراسة وتقييم البعد الصوفي في فكره.

والنور. وبدأتُ جمعه وتأليفه في أوائل ذي القعدة من سنة تسع وأربعين وثمانمائة. جعله الله عملاً صالحاً لوجهه ومبلغاً إلى مرضاته. اللهم انفعني به في الدارين وانفع به من نظره أو سمعه أو سعى في تحصيله آمين، آمين، آمين والحمد لله رب العالمين: "وسميته بالعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة". ولإعطاء فكرة عن الطريقة التي يرجع بها الإمام الثعالبي إلى العلماء الذين ذكرهم، نورد نصه التالي: "وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنه لمحط الذنوب، ويُزهد في الدنيا. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: كفى بالموت واعظاً. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، هل يُحشر مع الشهيد أحد؟ قال: نعم، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة. قال الغزالي رحمه الله تعالى: وإنما سبب هذه الفضيلة ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويقتضي الاستعداد للآخرة، والغفلة عن ذكر الموت تدعو إلى الانتهاك في شهوات الدنيا. انتهى كلام الغزالي. قال القرطبي: وقال السدي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَلَقُوا الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغُواكُمْ أَجْسَانَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملئ: 2]، أي أكثركم للموت ذكراً، وله أحسن استعداداً ومنه أشد خوفاً وحذراً]. " انظر ورقة 1 و2 من مخطوط "العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة" للإمام عبد الرحمن الثعالبي. يتألف المخطوط من جزأين، ونسخته جيدة، وعدد صفحاتها: 592، أما خطها فمغربي واضح. ومصدره: الدار البيضاء مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز. ويمكن تحميلها من موقع انترنت:

<https://archive.org/details/al-auloum.al-fakhira>

3. البعد الصوفي في فكر الإمام المغيلي

يتمحور البعد الصوفي في فكر الإمام المغيلي حول مفاهيم التقوى والعلم، والورع، والصمت²⁴، وحب النبي صلى الله عليه وسلم²⁵، والتوسل بجاهه²⁶، والتقرب لأهل الخير والابتعاد عن أهل الشر، ومحاسبة النفس. وقد حثَّ على التقوى في معظم كتبه: "وقفك الله للتقوى، وعصمك من نزغ الهوى"، "وعليك بتقوى الله: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۖ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (سورة آل عمران، الآية: 185)". وقد أشاد بالعلم والتقوى والورع، وحذر من الطمع واستشهد أولاً بالآية التالية: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" (سورة النحل، الآية: 43)، ثم فسر هذه الآية بما يأتي: "والذكر هو القرآن، وأهله من اجتمع فيه وصفان: العلم والتقوى؛ لأن بالعلم يُعرَفُ الرشد من الغي، وبالتقوى يأمر بالرشد وينهى عن الغي، فلا تقيد في دينك إلا من ثبت أنه عالم تقوي"²⁷. وأشار إلى أهمية التقوى في حفظ

²⁴ وهذا ما يدل عليه بيته التالي: "وَكُنْ عَلَى الصُّمْتِ حَرِيصًا دَائِمًا فَقَلَّمَا يَسْلُمُ مَنْ تَكَلَّمَ" انظر: المغيلي محمد بن عبد الكريم، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، ت محمد خير الله يوسف، بيروت: دار ابن حزم، 1994، ط1، ص 21.

²⁵ وهذا ما تدل عليه عبارته التالية: "فكل مؤمن حقيقي، لا بد أن يكون شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين، وبرهان ذلك أن كل مؤمن لا بد أن يحب النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين". وكل من يحب النبي صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يكون معه لقوله صلى الله عليه وسلم: "المرء مع من أحب". انظر: المغيلي محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق عبد المجيد الخيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، ص 25-26.

²⁶ هذا كتاب من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني لطف الله به، وجميع أحبائه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى كل مسلم ومسلمة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، انظر: المغيلي محمد بن عبد الكريم المصدر السابق، ص 21.

²⁷ المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ت عبد القادر زبادية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1974، ص 26.

الدين: "فمن أعظم الواجبات على أمراء المسلمين حفظ الدين؛ بأن لا يتركوا أحدا يتكلم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى حتى يكون من أهل العلم والتقوى. ولذلك لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة، دخل جامعها فوجد القصاص يقصون، فأقامهم حتى جاء إلى الحسن البصري رضي الله عنه، فقال: يا فتى إني سائل عن شيء فإن أنت أحببتي عنه أبقيتك، وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك. وكان قد رأى عليه سمًا وهديا. قال الحسن: سل عما شئت، فقال: ما ملاك الدين؟ قال: "الورع. قال: ما فساد الدين؟ قال: الطمع. قال: اجلس؛ مثلك يتكلم على الناس".²⁸ ودعا إلى ضرورة تعلم الدين من أهل الذكر: "فمن تبين لك أنه عالم تقي، فهو من أهل الذكر، فاسأله عن دينك وقلده ينجيك ويكفيك".²⁹

1.3. برنامج صوفي يومي في مخطوط "عمل اليوم والليلة"

وما ورد في مخطوط "عمل اليوم والليلة" للإمام المغيلي يُبلور جوانب مختلفة من تصوفه العلمي والتطبيقي: بدأ النص بالبسملة، ثم الصلاة والسلام على النبي وعلى آله وأصحابه أجمعين، ثم كتب العبارات التالية: "أما بعد فيقول عبيد الله المعتصم بالله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المالكي رحمه وبارك عمره: هذه جملة مباركة في عمل اليوم والليلة من عمل بما فقد حاز فضلا عظيما وهدى صراطا مستقيما. فأول ذلك: فإذا استيقظت من نومك أن تقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، الحمد لله الذي أحياني بعد مماتي وإليه النشور. وتذكر بيقظتك من نومك إحياءك بعد موتك؛ فإن اليقظة من النوم مشبهة للحياة بعد الموت".³⁰

²⁸ المصدر السابق، ص 27-28.

²⁹ المصدر السابق، ص 31-32.

³⁰ المغيلي محمد عبد الكريم، مخطوط "عمل اليوم والليلة"، موجود في المكتبة الوطنية الفرنسية ضمن مجموعة من مخطوطات الشيخ عمر الفوتي المنهوبة من مكتبته بمدينة سيغو، باريس: المخطوط رقم

ثم أوصى الإمام المغيلي بقراءة أدعية وأذكار عند القيام بأي تصرف من تصرفات الإنسان في حياته اليومية، وأن يتقيد بالآداب الصوفية المتمثلة في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم، وإمالة الأذى عن الطرقات، والابتعاد عن الشبهات، والقيام بحق الله في جميع الجهات، ومن أهم ذلك الامتناع عن نظر العورات والنساء الأجنبية، وخفض الطرف، وحفظ اللسان عن فضول الكلام، وإفشاء السلام إلا على أهل البدع والآثام، إلا لضرورة تتعلق بمصلحة المسلمين، ونطق البسملة عند الشروع في عمل كل شيء، والقيام بمساعدة المسلمين فيما يحتاجون إليه من أمورهم الدينية والدنيوية، طلبا لمرضاة الله وامتنالا لأمره. وبعد الحث على التقيد بآداب سلوك نقلها من الشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخرى من الشيخ ابن عطا الله، تطرق الإمام المغيلي إلى مسألة محاسبة النفس في العبارات التالية:

" فإذا تمَّ نهارك وانقطعت أشغالك، وآويت إلى فراشك، فعليك قبل نومك بحساب نفسك. فقد أجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس. وكيفية ذلك: أن تعرض ما مضى لك في يومك على الكتاب والسنة، بأن تنظر إلى ما يتعلق بباطنك وظاهره من أمر الله تعالى ونهيه، وبأعضائك عضوا عضوا، فتعرض لسانك مثلاً، هل ترك ما أمر الله به كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهل فعل ما نهاه الله عنه كالكذب والغيبة والإصرار، ثم كذلك تعرض أذنيك وعينييك ويديك وبطنك وفرجك ورجليك، وحيث [يوجد] تقصير تداركته بالتوبة والاستغفار، وحيث ما ظهر لك ظلم، بادرت من وقتك برّد ما ظلمت فيه لأهله إن أمكنك كذلك، وإلا فلتعزم على رده على حسب إمكانك، بنية صادقة، وحيث ظهر أنك مستقيم في ذلك كله على ما طُلب منك، فلا تغتر، بذلك وانظر إلى قصدك بجميع طاعتك، هل أردت بكل واحد منهم وجه الله أم لا، فإن صفا لك ذلك كله وما أغتر صفاءها، فانظر هل رأيت نفسك لأجل طاعتك خيراً

(ARABE 5673, Volume de 314 feuilles, 4 novembre 1901)، الخط، صحراوي

واضح، ويتألف من أربع ورقات، انظر ورقة 47.

من غيرك أم لا، فإن لم تر ذلك، هل كبرت بسبب طاعتك على أحد من خلق الله أم لا، فإن صفا لك هذا كله وما أعز أن يصفو، فانظر هل أسندت استقامتك إلى عزومك وحزومك أم نسبت ذلك إلى ربك، فإن صفا لك ذلك كله مع عزته، فانظر هل عجبت نفسك بذلك أم لا، فإن صفا لك ذلك كله فانظر هل أدلت على الله بهذه الاستقامة أم لا، فإن صفت لك هذه الأمور المتعلقة بالطاعة وما أغر صفاؤها، فانظر في معاصي القلوب، هل تطهر قلبك منها أم لا، كالحسد، والشماتة، وإرادة العلو في الأرض وغير ذلك من الصفات الذميمة "الخ.³¹

2.3. إشكالية انتماء الإمام المغيلي إلى الطريقة القادرية

مما يستحق الذكر أن أهل الطريقة الكنتية يعتبرون محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي مرجعا من مراجعهم الروحية الأساسية. ومع ذلك، فإننا لا نجد في مؤلفاته أو في كتب التراجم مثل نيل الابتهاج لأحمد بابا، والبستان لابن مريم، ما يثبت أنه كان صوفيا ينتمي إلى الطريقة القادرية. ولعل هذا هو الذي دفع الأستاذ جون هانويك (J. O. Hunwick) يَشْكُ في صحة انتماء محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي إلى الطريقة القادرية في نهاية مقاله الذي خصّصه له في الموسوعة الإسلامية³². وعلى الرغم من عدم إتيان كتب التراجم بمعلومات واضحة حول انتمائه إلى القادرية، فإننا لم نجد دليلا موضوعيا يثبت عكس ما أقرّه وأكّده تراث القادرية الكنتية المكتوب والمروي، وهو أن الكنتيين أخذوا القادرية من محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي. ومن المحتمل أيضا أن محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي أخذ القادرية أثناء إقامته في بجاية التي كانت مركز إشعاع للقادرية التي نشرها فيها سيدي أبو مدين شعيب المتوفى سنة 593

³¹ المصدر السابق، ورقة 47، 49.

³² J. O. Hunwick, Encyclopédie de l'Islam, Maisonneuve & Larose, Paris, 1979, T.V, p. 1155.

هـ/1198م، وتؤكد كتب التراجم بأن سيدي أبا مدين سافر إلى بلاد الحجاز والتقى في عرفة بمؤسس الطريقة القادرية الشيخ عبد القار الجيلاني المتوفى 561هـ/1166م، فقرأ عليه في الحرم كثيرا من الحديث وألبسه الخرقة، وأودعه كثيرا من أسرار، وحلاه بملايس أنواره، فكان أبو مدين يفتخر بصحبته، ويغذّه أفضل مشايخه الأكابر. وكان يسكن في بجاية التي كان يحبّها، وكرّس حياته فيها للتربية والتعليم ونشر تعاليمه الصوفية بين أنصاره الذين كانوا في زيادة مستمرة، ولم يزل كذلك حتى وشى به من يسميهم أحمد بابا التنبكتي ببعض علماء الظاهر، عند ممثلي الدولة الموحدية، يعقوب المنصور الذين قالوا له أن أبا مدين يشبه الإمام المهدي في كثرة أتباعه وتصرفاته، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، ولكنه توفي قبل أن يصل إليه ودفن بالعباد قرب تلمسان³³.

4. العلاقات الروحية بين الإمام المغيلي وأهل كنته

أهملت كتب التراجم العلاقات الروحية بين الإمام المغيلي وأهل كنته إهمالا يكاد يكون تاما، والمعلومات الوحيدة التي نملكها في هذا المجال وَرَدَتْنا من مصادر ومراجع أسرة كنته. ويرجع نَسْبُ كنته، حسب رواية مؤرخيهم³⁴، إلى عقبة بن نافع الذي كان من كبار قادة المسلمين، وقد غزا إفريقية، وبنى القيروان وجامعها، وحارب البربر وقُتِلَ على حدود الصحراء عام 63هـ/683م³⁵. وقد نشأ أهل كنته بالقيروان، ثم نمت أسرهم وتطورت وتشعبت، وانتشرت في إفريقية وتلمسان ومستغانم وتوات، ثم امتدت شجرة الأسرة إلى أن وصلت فروعها إلى الشيخ أحمد البكاي الذي كان أكبر أولاده:

³³ التنبكتي بابا أحمد، نيل الابتهاج، المرجع السابق، ص 194-198.

³⁴ الكنتي سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الوفي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماد الله ولد السالم، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2003، ص 131.

³⁵ مجموعة من المؤلفين، مادة عُقبة بن نافع في المنجد في اللغة والأعلام، بيروت: دار المشرق، 1994، ط 34، ص 376.

سيد محمد الكنتي الصغير، وأبو بكر الحاج، وسيد أعمار الشيخ³⁶. وسيد أعمار الشيخ، الذي توفي سنة 958هـ/1552م، كان أول من انتسب من كنته إلى الطريقة القادرية الذي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى في بغداد سنة 561هـ/1166م. وكان سيد أعمار الشيخ عالما ورعا سافر إلى جميع بلاد المغرب للبحث عن يفيده في مسائل علمية، وواصل رحلته إلى بلاد الشام، ثم إلى الحجاز، وحجَّ فرجع إلى المغرب، واتجه بعد ذلك إلى بلاد التكرور حيث التقى بمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، ولم يفارقه خلال ثلاثين سنة³⁷.

1.4. تطور العلاقات الروحية بين أهل كنتا والإمام المغيلي

وحسب رواية إسماعيل حامد، كان محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، زمن لقائه بسيد أعمار، قادما من بلاد الهوسا للقيام بجولة في بلاد التكرور والمغرب للدعوة إلى تطبيق الإسلام، وبعد ما تبادل الرجلان حديثا له صلة بالأمر الروحية عقدا العزم على أن يظلا صاحبين لا يفترقان، ودامت صحبتُهما مدة ثلاثين سنة سافرا خلالها إلى المشرق وزارا مصر والتقى بجلال الدين السيوطي (ت. 911 هـ/1505م) وتبادلا معه الأوراد (وهي عبارة عن أذكار تُقرأ في أوقات معينة في اليوم)، ثم سافرا بعد ذلك إلى بلاد الحجاز، وبعد رجوعهما إلى بلاد السودان بقليل وصلهما نبأ قتل ابن المغيلي في توات³⁸.

وقد ذكر بول مارتى (Paul Marty) نفس الروايات الواردة في بحث إسماعيل حامد، مع اختلافات قليلة، موضِّحا بأن سيد أعمار نال استقلاله الروحي التام، بعد وفاة محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، وأصبح من كبار

³⁶ الكنتي سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار، الرسالة الغلاوية، المصدر المذكور سابقا، ص 145-154.

³⁷ المصدر المذكور سابقا، ص 154-155.

³⁸ Ismaël Hamet, « Littérature arabe Saharienne », in Revue du Monde Musulman, Paris, 1910, Tome 12, p.210.

زعماء القادرية في بلاد تكرر والصحراء، وواصل، هو وأقاربه وأنصاره، أنشطتهم التجارية والدعوية في مختلف أرجاء الصحراء³⁹.

2.4. علاقات أهل كنته بالإمام المغيلي حَسْبَمَا وَرَدَ في "الطرائف والتلائد"⁴⁰

وقد بدأ الشيخ سيدي محمد، مؤلف مخطوط "الطرائف والتلائد" معالجته للموضوع بتقديم تعريف لجدهم ومرجعهم الروحي في العبارات التالية: "القطب الجامع والغوث المغيث الهامع سيدي عمر الشيخ. قال شيخنا [يقصد والده وشيخه الشيخ سيدي المختار الكنتي] في "الإرشاد" معرقاً به: "ومن الأولياء المشهورين بالعلم والولاية جَدُّنا عمر الملقب بالشيخ، تَوَاتَرَ عنه أنه حفظ قبل بلوغه الرشد، ألف مجلداً في أنواع فنون العلم، وأنه رحل إلى الغرب الجواني برسم الاستفادة بعد ما عمره أبوه وشيخه سيدي أحمد البكاء. فطاف جميع بلاد الغرب فلم يجد من يفيد به مسألة من جميع فنون العلم، فعمل الرحلة إلى إقليم الشام، فلم يظفر فيه بمن يفيد به كذلك، ولا من يتعلم عليه بل كانوا يأخذون العلوم عنه، ثم حج ورجع إلى المغرب، فجال في بلاد التكرور فلقي

³⁹ Paul Marty, "Les Kounta de l'Est", in Revue du Monde Musulman, tome 37, Ernest Leroux, Paris, 1918-1919, pp. 20-22.

⁴⁰ الشيخ سيدي محمد بن المختار، هو مؤلف مخطوط "الطرائف والتلائد من كرامات الشبيخة الوالدة والشيخ الوالد"، وهو أيضاً ابن وخليفة الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى عام 1226هـ/ 1811م، المرجع الروحي الأساسي للزاوية الكنتية المختارية. وهي من أكثر فروع الطريقة القادرية نفوذاً وانتشاراً في إفريقيا جنوب الصحراء والمغرب الأقصى. وكتب أبو عبد الله البرتلي الولائي في الباب الذي خصّصه لسيرته، بأنه "شيخ الشيوخ السادات، مَنْ ظهرت بركائه شرقاً وغرباً. ومناقبه في الناس عجماً وعرباً، ساقى المريد، وعمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومرّي السالكين". انظر: البرتلي الولائي أبو عبد الله الطالب، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الكتاني محمد إبراهيم وحجي محمد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 152. تجدر الإشارة إلى أن نسخة المخطوط التي رجعنا إليها موجودة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، وتُكتب العارف في عنوان المخطوط المكتوب بالحروف اللاتينية بدلاً من كلمة الطرائف الصحيحة، وخطُّ المخطوط من النمط الصحراوي، وهو جيد وواضح، ولكن لا يوجد فيه اسم ناسخه ولا تاريخ نسخه. ورقم المخطوط هو: ARABE 5334، وعدد ورقاتها: 156. ويمكن تحميل المخطوط من الموقع الرقمي للمكتبة المذكورة، وعنوانه: www.gallica.bnf.fr

بها الشيخ الجليل القطب الكامل سيدي محمد عبد الكريم المغيلي، وقد أقبل من بلاد هُوصَ يريد التكرور والمغرب الأقصى، برسم دعوى الناس إلى الإسلام والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحمل الناس على السنة والحجاب، فتفاوضا في العلم. وقال له من أين أقبلت يا فتى؟ قال: من المغرب الأقصى، مسقط رأسي ومحل إقامتي ونشأتي. فقال: إن أرضا يأتي منها مثلك في حادثة سنك، لا تحتاج إلى مثلي. ثم تفاوضا في علم الباطن، فأري عليه فيه الشيخ ابن عبد الكريم، فانخلع له من جميع ما بيده، ولازمه برسم الصحبة ثلاثين سنة".⁴¹

3.4. التوجه إلى المشرق والالتقاء بالإمام السيوطي

وصف الشيخ سيدي محطات الرحلة وما حدث فيها من أحداث، لمُعظم تطوراتها ارتباط وثيق بأمور خارقة للعادة، الأمر الذي يدل على أهمية عنصر الكرامة في التجربة الصوفية بصفة عامة والطريقة بشكل خاص. وتجدر الإشارة إلى أن الكرامة في حد ذاتها، ظاهرة دينية اتفق جمهور العلماء على أنها لا تخالف الكتاب ولا السنة، وقد أورد الإمام ابن تيمية أدلة كثيرة تؤكد ذلك في كتابه "الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" الذي كرّسه للموضوع.⁴² وقد تحدث الشيخ سيدي عن كرامات الإمام المغيلي، وروى ما حدث بينه وبين الإمام السيوطي نقتطف منه ما يأتي: "ودخلا على السيوطي في مسجده. فقال له الشيخ ابن عبد الكريم: ما معك من العلوم يا عبد الرحمان؟ فقال: إني لأحصى أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها. فقال: عسى أن لا تكون كذلك، فإن كنت صادقا فإني سائلك في الأحاديث التي صحت وروّدها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يُجلي عليه الحديث فيقول

⁴¹ الشيخ سيدي محمد بن المختار، مخطوط "الطرائف والتلائد من كرامات الشيخة الوالدة والشيخ الوالد"، المصدر السابق، ورقة 61-62.

⁴² انظر ابن تيمية تقي الدين، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982.

له لم يبلغني، فيدور بسارية من سوار مسجده، ثم يقبل إليه ويقول صدقت، حتى أفاده خمس مائة حديث، فقال سيدي عمر: ما باله لا يصدقك في الحديث حتى يطوف بالسارية، فقال: إنه لا يتمكن من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم حتى تغيبه السارية فيراه فيسأله عن الحديث، فيقول: هو صحيح عني ولو أنه صلى الله عليه وسلم غاب عني طرفة عين ما عدت نفسي في المؤمنين. فمن يومئذ أقر السيوطي لابن عبد الكريم بالتقدم في العلم والولاية، فأخذ كل منهما عن صاحبه الأوراد. وكان ابن عبد الكريم لا يقول له إلا عبيد الرحمان، فلما ألف الإتيقان (في علوم القرآن)، قال تبحر السيد عبد الرحمان في العلوم".⁴³

4.4. السفر للحج والعودة إلى بلاد السلطان أسكيا

أخبر سيدي محمد بن المختار بسفر الإمام المغيلي وسيدي عمر إلى بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج، ويّين بأنهما انصرفا إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأكد بوقوع أمور عجيبة جذبت انتباه الحاضرين حينما ارتجل قرب ضريحه صلى الله عليه وسلم قصيدته البديعة التي مطلعها:

بشارك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

"فاهتزت عند ذلك الروضة الشريفة وانفتح بابها وقرّ "الوكاء" لعظم ما رأوا فدخل [أي الإمام المغيلي] الروضة الشريفة، فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه فجعل يقول كسّث هناكم فلا تشتغلوا عما أنا بصدد، فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة، فإنها عين الرحمة ومنبع الحكمة وأصل الهداية".⁴⁴

⁴³ الشيخ سيدي محمد بن المختار، المصدر السابق، ورقة 62.

⁴⁴ المصدر السابق، ورقة 62.

وهذا بالتحديد ما أفاد به عباس بن إبراهيم السملالي الذي نقل أبيات القصيدة كلها في كتابه "الإعلام بمن حل بفاس وأغمات من الأعلام"، مع مقدمة قصيرة، ونقلها فيما يأتي:

"وذكر الكنتي في كتاب (التوحيد) أن المترجم له جال في بلاد التكرور والمغرب الأقصى وحلاه بالشيخ القطب الكامل، وعنه أخذ جده سيدي عمر الملقب بالشيخ وذكر بعض كراماته لما توجه معه إلى الحج وأنه لما أشرف على المدينة ارتجل قصيدته العجبية التي مطلعها:

بشارك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم
فاهتزت عند ذاك الروضة الشريفة وانفتح بابها، وفر الوكلاء لعظم ما رأوا فمكث فيها ساعة فأقبل الناس عليه ويقول لهم: لست هنالك فلا تشغلوني عما أنا بصدده فمن كان منكم يريد البركة فعليه بالروضة الشريفة فإنها عين الرحمة، ومنبع الحكمة، وأصل الهداية. وأورد السملالي "نص القصيدة التي وصفها بأنها تدل على غوصه على المعارف"⁴⁵:

بشارك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء طاهرة وهذه القبة الخضراء كالعلم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته وصحبه وبقيع دائر بهم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل كل ما ترجوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لقاصده أمن من النقم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فبحر جودك مورود لكل ظمي

⁴⁵ السملالي عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بفاس وأغمات من الأعلام، الرباط: المطبعة الملكية، 1999، ج5، ط2، ص 110-111.

يا سيد الرسل يا من ضيف ساحته
يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل
يا أشرف الأنبياء يا من شفاعته
إني فقير إلى عفو ومرحمة
وقد أتيتك أرجو منك مكرمة
فالحال يغني عن الشكوى إليك وقد
فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد
يا أحمد، يا أبابكر، و يا عمر
وقد سعت إلى أبواب حجرتكم
أتى من أم القرى يرجو القرى كرما
فإن قبلتم فإني مفلح بكم
يا من أجل ملوك الأرض قاطبة
فهل عسى نظرة منكم لزائركم
محمد وضجيعاه الذين بهم
يا رب، يا رب يا مولاي عبدك في
فجد عليه بما يرجوه من كرم
ثم الصلاة وتسليم الإله على
محمد المصطفى والآل، ثم على

يبيت بالأمن في خير وفي نعم
يا أفضل الناس في ذات وفي شيم
عمت على الخلق من طفل إلى هرم
وأنت أدري بما في القلب من ألم
فأنت أهل التقى والجود والكرم
عرفت حالي وإن لم أحكه بفم
أودى به الكسر مما نال من جرم
نزيلكم في أمان غير منهضم
سعيًا على الرأس لا سعيًا على القدم
فإن قبلتم فإني مفلح بكم
في زورة واقتراب وافر القسم
في باب أفضلهم من أصغر الخدم
يغني بها عن جميع الخلق كلهم
طبنا وغبنا من الخسران والندم
باب الرجا يرتجي أمانا من النقم
فقد توسل في الدنيا بحقهم
هذا النبي رفيع القدر والشيم
أصحابه ما سرى ركب لربهم

وأكد الشيخ سيدي محمد بن المختار بأن الإمام المغيلي وسيدي عمر عادا إلى بلاد السلطان أسكيا بعد موسم الحج، ووجدوا فيها تطورات خطيرة قاما بمواجهتها إلى أن وافت المنية الإمام المغيلي. وقد أورد فيما يلي مضمون وصيته الأخيرة:

"ولما احتضر [أي الإمام المغيلي] رحمه الله جمع من ثَمَّ من الناس فقال لهم: من يريد مني بركة أو نفعاً فليطلبهما من سيدي عمر الشيخ، فإنه احتوى على جميع ما عندي فأكله كما يأكل الإنسان التمرة، ويلقي بالنواة. وأوصى سيد عمر الشيخ أن يتولى غسله وتجهيزه. فلما فعل ما أوصاه به رجع إلى أهله، فاستن بسنته في الدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة المواسم والحديقة على الضعفاء والمساكين وزجر الطغاة والظلمة والأخذ على أيديهم. وكان يأمر بنيه بذلك ويحضهم عليه ويستعملهم فيه. فلما كان آخر عمره، وقام بنوه بمصالح العامة، تجرد للعبادة حتى مات وهو على رأس جبل من جبال سوس".⁴⁶

5. استمرارية التراث الصوفي للإمام المغيلي وتأثيره

1.5. استمرارية تراثه الصوفي

وبعد مرور أكثر من قرنين من وفاة سيد أعمر، الابن الروحي لمحمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي ورائد القادرية الكنتية في الصحراء وبلاد السودان، ظهر وجهٌ كنتي بارز يعتز بانتمائه إلى التراث الروحي للإمام المغيلي، اسمه شيخ سيد المختار الكنتي الذي اعتبره بول ماري Paul Marty شخصاً صالحاً وعالمًا علامة، وسياسياً قام بأكثر الأدوار أهمية في حياة البلاد الصحراوية من عام 1760م إلى 1811م. وأكد ماري بأن الوثائق المكتوبة والروايات الشفوية اتفقت على ذلك، ويبيّن أن النجاح الذي حققه في دعوته كان باهراً، وانتشرت بفضلها الطريقة القادرية في موريتانيا والبلاد الصحراوية وبلاد السودان، وخاصة السنغال، وغينيا، والمناطق العليا في ساحل العاج.

⁴⁶ الشيخ سيدي محمد بن المختار، المصدر السابق، ص 62-63.

وقد أسلمت بسببها قطاعات عريضة من شعوب هذه البلدان وانخرطوا في سلك القادرية الكنتية⁴⁷.

وللشيخ سيدي المختار فضلٌ كبير على سعة انتشار الإشعاع الروحي والفكري لزوايا مدرسة التصوف الجزائرية في الأوساط المغاربية، وفي عدة مناطق غرب إفريقيا. وقد عبر عن هذه الحقيقة أعلامٌ وزعماء من أقطار إفريقيا جنوب الصحراء المختلفة، من أبرزهم سلطان سكوتو عثمان دان فوديو (ت 1817م) الذي أشاد بذكرها في الأبيات التالية⁴⁸:

بَلِّغْ تَحِيَّتِي إِلَى الْمُخْتَارِ سَرَايُنَا فِي هَذِهِ الْأُمُصَارِ
وَقُلْ لَهُ لِيَدْعُ بِالْخَيْرَاتِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْمَمَاتِ
وَفِي حُلُولِ الْقَبْرِ وَالْقِيَامِ بَلِّغْهُ يَا شَرِيفَ الْإِسْلَامِ
يَا رَبِّ زِدْ لَشَيْخِنَا الْمُخْتَارِ كَرَامَةَ التَّوْفِيقِ فِي الْأَخْيَارِ
وَانصِرْهُ يَا رَبِّ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَعْطِهِ بِأَحْسَنِ الْجَزَاءِ

2.5. حيوية التراث الروحي والعلمي للإمام المغيلي وقوة تأثيره

قدّم العلامة آدم عبد الله الإلوري وصفا دقيقا لسعة انتشار التراث الروحي والعلمي للإمام المغيلي وقوة إشعاعه، في النص التالي: "ولقد تأثر بالمغيلي جميع العلماء الذين اجتمعوا به، أو الذين أخذوا عنه العلوم، أو أخذوا عن تلاميذه، حتى امتازوا عند

⁴⁷ Paul Marty, "Les Kounta de l'Est", op. cit. p. 27-62.

تناولنا هذا الموضوع بتوسع في بحثنا: جاجاتي قاسم، جهود أعلام الزاوية المختارية الكنتية في إحياء الفكر الصوفي وبثه في المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، المجلة السنغالية للدراسات العربية، السنة 5، العدد 5، رقم الإيداع القانوني 0851-5905، قسم اللغة العربية، مدرسة دكتوراه أرسيف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شيخ أنتا جوب، دكار، ص 33-48.

⁴⁸ - فودي محمد بلو بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور، تحقيق الشاذلي بهيجة، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996، ص 323.

علمائنا "بمعاصري المغيلي"، وامتاز عصرهم "بعصر المغيلي". "ولقد احتفظوا برسائله وفتاواه ومؤلفاته، وحفظوها في صدورهم، وخزنوها في مكتباتهم، حتى توارثوها خلفهم عن سلفهم".⁴⁹ ومن ناحية أخرى، تحدث العلامة عما سَمَّاه بعصر المغيلي الذي بين بأنه يبدأ من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر الهجريين. وأوضح بأن علماء نيجيريا هم الذين نسبوا العصر المذكور إلى الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي "استوطن مدينة كانو وكاشنة وتصدّر للتدريس بها مدة طويلة وأخذ عنه أكابر علمائها؛ لأنه هو العالم العربي الذي سجّل التاريخ آثاره في هذه البلاد، زار هذه البلاد من تلقاء نفسه أو بدعوة من أمرائها وعلمائها، وكلا الأمرين جائز ومحتمل؛ فقد استفادت البلاد منه كثيرا، وآثاره كثيرة في ميادين عديدة، واضحة ملموسة بكل صغير وكبير في الحكم والسياسة والعلم والأدب".⁵⁰ وفيما يتعلق بآثار الإمام المغيلي بولاية كانو بدولة نيجيريا، يُراجع كتاب د. جعفري: "المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية"⁵¹.

⁴⁹ الإلوري آدم عبد الله، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، القاهرة: مكتبة وهبة، 2012، ص 34.

⁵⁰ الإلوري آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، القاهرة: مكتبة وهبي، 2012، ص 32.

⁵¹ أحمد أبا الصافي جعفري، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2015، ص 392-393. انظر أيضا: ص 149-151.

الختام

قمنا بدراسة وتحليل معطيات إسهام الإمام المغيلي في النهوض بمدرسة التصوف الجزائرية، وقد سلطنا أضواءً كاشفة على أصول هذه المدرسة العريقة التي يُعتبر التراث العلمي والروحي للإمام الثعالبي أقوى أسسها وأصفى مواردها. سَعَيْنَا إلى التعمق في استقصاء حقائق التجربة الصوفية الخاصة بالإمام الثعالبي وَوَجَدْنَا أنها تجربة تَحْمِلُ في طياتها آثارَ علماء متصوفة مرموقين، أمثال الإمام الغزالي، الإمام المحاسبي والإمام القرطبي، وأن الإمام الثعالبي نجح في بناء تيار صوفي ينتهج منهج أهل السنة والجماعة، ويتمسك بقيم الوسطية والاعتدال، وأنه تمكن من نقل تجربته الناجحة في هذا المضمار إلى طلابه الذين كان الإمام المغيلي من أبرزهم وأقربهم إليه. وقد طَوَّر الإمام المغيلي أساليب التكوين والعمل التي كانت سائدة في التراث الروحي للإمام الثعالبي، ووضع له قواعد وآليات استعملها بشكل فعال، واستطاع بفضل ذلك أن يجني نتائج طيبة، ومكاسب ممتازة، في المجال النظري والتطبيقي. سَعَيْنَا جاهدة لأجل سبر أغوار وقعها وتأثيرهما، وقمنا بالبحث والتنقيب في مؤلفاته، وفي كتب التراجم والتاريخ، التي تتوفر فيها معلومات قيمة في هذا النطاق. وقد توصلنا إلى نتائج تؤكد بأن إسهام الإمام المغيلي في النهوض بمدرسة التصوف الجزائرية يتميز بجودة وأصالة، وعمق، على الرغم من العقبات الكثيرة التي واجهها في سبيل ذلك، وتدل النتائج أيضا على أن الإشعاع الروحي والفكري لزوايا هذه المدرسة ما زال مستمرا، ويتمثل بصورة خاصة في البصمات التي تركها في الطريقة القادرية الكنتية المنتشرة في الفضاء المغاربي وفي ربوع غرب إفريقيا.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

- 1- أحمد القاضي، لقط الفرائد، موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت : دار الغرب الإسلامي، ج2، 1980.
- 2- أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، الجزائر : منشورات الحضارة، 2011.
- 3- أحمد أبا الصافي جعفري، المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، الجزائر : منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2015.
- 4- البرتلي الولاتي أبو عبد الله الطالب، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الكتاني محمد إبراهيم وحجي محمد، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1981.
- 5- الإلوري آدم عبد الله، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، القاهرة : مكتبة وهبة.
- 6- الإلوري آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، القاهرة : مكتبة وهي، 2012.
- 7- الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر : مطبعة فونتانة الشرقية، 1906.
- 8- الكنتي سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الوفي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماد الله ولد السالم، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 2003.
- 9- السملالي عباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل بفاس وأغمات من الأعلام، الرباط: المطبعة الملكية، 1999.
- 10- مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية، القاهرة: المطبعة السلفية، 1349هـ.
- 11- فودي محمد بلو بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرر، تحقيق الشاذلي بهيجة، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996.

12- مجموعة من المؤلفين، مادة عُقبة بن نافع في المنجد في اللغة والأعلام، بيروت: دار المشرق، 1994.

مجالات علمية

- د. إدريس خويا أ/ فاطمة برماتي، الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي - من المهد إلى اللحد-مجلة الذاكرة، المجلد 4، رقم العدد 2، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016، ص 13.

-د. عصام طوالي الثعالبي، د. دهاش الصادق، د. صباح بعارسية، د. حبيب بريك الله، مجلة "معايير"، مجلة دولية محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية الجزائرية للتربية والعلم والثقافة بمشاركة كرسي اليونسكو الأمير عبد القادر لحقوق الإنسان وثقافة السلام لجامعة الجزائر-عدد خاص: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي والإشعاع الثقافي لمدينة الجزائر، المجلد 3، العدد 1، جامعة الجزائر 1، 1999.

المخطوطات

- الشيخ سيدي محمد بن المختار، الطوائف والتلائد من كرامات الشيخة الوالدة والشيخ الوالد، نسخة المخطوط موجودة في المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس: المخطوط رقم ARABE 5334، وعدد ورقاتها: 156.

-ابن عسكر، دوحه الناشر، المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس: المخطوط رقم R. C. 8301

-المغيلي محمد عبد الكريم، مخطوط "عمل اليوم والليلة"، موجود في المكتبة الوطنية الفرنسية ضمن مجموعة من مخطوطات الشيخ عمر الفوتي المنهوبة من سيغو، باريس:

المخطوط رقم (4) ARABE 5673, Volume de 314 feuilles, (novembre 1901)، الخط، صحرابي واضح، ويتألف من أربع ورقات.
-التنبكتي بابا أحمد، المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج، من مخطوطات الأزهر، الجزء
12، القاهرة: رقم 893، رواق المغاربة، الأزهر.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

- 1- Cuoq Joseph, *Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest*, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1984.
- 2- J. O. Hunwick, *Encyclopédie de l'Islam*, Maisonneuve & Larose, Paris, 1979, T.V.
- 3- Paul Marty, *Les Kounta de l'Est*, in *Revue du Monde Musulman*, tome 37, Ernest Leroux, Paris, 1918-1919.

مواقع انترنت

- 1-<https://archive.org/details/al-auloum.al-fakhira>
- 2-www.gallica.bnf.fr